مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015 المجلد: 02 العدد: 02/سبتمبر2007
EISSN: 2602-5973 ص: 37 - 47

النسويـة وما بعد الحـــداثة
رؤيا في الأدب النسوي

حمر العين خيرة
جامعة وهران

الملخص:

ارتبط مفهوم النسوية بالحركات النسوية التحررية والنضال ضد الميز العنصري في العالم واكتسب مظهرين :

الأول : وتمثل في النضال السياسي

والثاني : وارتبط بالنضال الاقتصادي والاجتماعي

واتخذ في الحالتين من الأدب مجالا خصبا للتعبير بدافع تكريس خطاب النسوية في العالم ، كما اعتبرت النسوية حركة تحررية مرتبطة بالتنوير وما بعد الحداثة.

1 . النسوية وما بعد الحداثة.

ظهرت النزعة النسوية في نهاية ستينات القرن العشرين بوصفها تيارا مضادا للوضع الإنساني المهيمن الذي عانت منه المرأة، وما تزال. فهو وضع ضارب في القدم منذ تحول البشرية عن حياة القنص والصيد البسيطة، والعيش على ثمار الأشجار إلى إلى حياة الرعي والزراعة التي بدأت معها صور الملكية، وظلت المرأة كما كانت في الأساطير القديمة، خاضعة، مستسلمة لا تملك منم أمر نفسها شيئا. إلى أن أدركت بعد قرون طويلة من القهر والحرمان أن عليها خوض معركتها بنفسها وبدأت بالفعل حركات تحرير المرأة في أواخر القرن التاسع عشر. فهل يمكن للنسوية أن تجد في ما بعد الحداثة حليفا نظريا؟ ترى سابينا لافيبوند "أن إحدى أولى الأفكار، التي يحتمل أن تخطر في البال في أثناء أي تأمل تاريخي في النسوية هي أنها حركة حديثة على نحو نموذجي"[1]، وهو ما يسمح لهذه الحركة بالتوسع الاجتماعي ، متوسلة بالسياسي والإديولوجي والمعرفي، وبذلك "تستطيع النسوية الاستفادة ، مثل ما تستفيد أية حركة راديكالية أخرى، من إدراك أن أفكارنا حول السمة الشخصية، والتقنية، أو الفنية أو حول الوضوح والإقناع في النقاش لا تهبط من السماء إنما تتوسطها عملية لا متناهية تقريبا من التعليم والتدريب الاجتماعيين"[2].

وفي مواجهة النظريات الأبوية، تظهر النسوية بوصفها ندا يدعو إلى هدم الوثن الرمزي للذكورة من خلال مواقف جوليا كريستيفا الناقدة البولغارية التي تربعت على عرش النقد الفرنسي، والداعية : "أن تطلب المرأة

العدد: 02/سبتمبر2007 المجلد: 02 ISSN: 1112-7015
ص: 37 - 47 EISSN: 2602-5973

بفرصة مساوية للرجل في النظام الرمزي [الآداب والفنون، وشتى النظم ذات علامات وشفرات ...] وأن ترفض المرأة النظام الرمزي للرجل باسم الأخلاق، أ] أن تؤكد تفرد طبيعتها الأنثوية، وأن ترفض المرأة الفصل بين الذكر والأنثى بمعنى إقامة حاجز بينهما"[3] ولكن موقف كريستيفا في المساواة، والتأكيد على التفرد والخصوصية الأنثوية مع ضرورة عدم الفصل بين الذكر والأنثى يصبح حلما واهيا إذا ما تأمل الأمر مختلف الأبنية الرمزية والسوسيو ثقافية والعرفية التي تتشكل بها المجتمعات وتعتقد فيها الشعوب ولذلك "يصعب الآن تصور أن يعد المرء نفسه نسويا، ويبقى غير مبال تجاه ما بعد الحداثة في إعادة البناء الاجتماعي فمن وجهة نظر أنثوية يمتلك الموروث [باختصار] سجلا تاريخيا لا يحسد، ومع ذلك في مجال العلاقات الجنسية تثبت القيم الموروثة [الزواج، ملكية البيت، والحياة العائلية برمتها... الخ] أنها الأكثر استعصاء على التغيير، إذ لم تستمر أية صفة من صفات المشهد ما قبل الحديث مثلما استمرت السيطرة الذكورية، لأن النظام الطبقي مبني على أساس الاختلاف البيولوجي الجنسي . ومن المؤكد أن التفكير بزمن تصبح فيه مفاهيم مثل "الزوجة" و"الزوج" مع كل الجو الأخلاقي الذي يحرضانه مفاهيم بالية تتسبب بانهيار العقل مثلما تفعل كلمات "الفلاح" و"الإقطاعي"[4].

انطلقت إحدى الصيحات النسوية من ضرورة النظر إلى النساء على أنهن "فئة سياسية لا فئة ميتافيزيقية"[5]. وهو الرأي الذي تدعمه المقولات الداعية إلى صرف اهتماماتها باتجاه وعي مغاير، وبذلك "يمكن فهم نضال الحركة النسوية لا كمجرد نضال لتأكيد الهوية، بل لتأكيد الاختلاف"[6] وقد نشأ عن هذه الأفكار مسألتين :

الأولى وتتعلق بالهوية الجنسية، الثانية وتتصل بالاختلاف الجنسي، ترى تيريسا لورتس "أن الهوية الجنسية ليست ملكية الأجساد أو شيئا موجودا بصفة أساسية في البشر، بل هي منتج أو عملية تتكون من عدد من الممارسات الاجتماعية التي تخلق نسيجا من الاختلافات التي تعبر أي عدد من اللغات والثقافات أيضا"[7]، وفي المسألة الثانية يعلن أصحاب التفكيك النسوي أنه قد آن " الأوان لإعادة التفكير في النظرية التي تقول بأن الجنس خاصية بيولوجية طبيعية مطعمة بإشارات الهوية الجنسية، وفي خطوة مهمة تنادي جوان سكوت بتحقيق تأريخ حقيقي وتفكيك لشرط الاختلاف الجنسي مما يؤدي إلى صرف الاهتمام والتركيز بعيدا عن الجنس حتى يمكن للهوية الجنسية أن يعاد تعريفها ويعاد بناؤها مقترنة برؤية للمساواة السياسية والاجتماعية التي تشمل ليس فقط على الجنس ولكن على الطبيعة والعرق"[8].

وإذا كان مفهوم النسوية قد بدا يتأصل بوصفه نظرية مستقلة، إلا انه لم يسلم من التحديات والتناقضات، ولعل أهم تلك التحديات هو السؤال الإشكالي الذي

مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015 المجلد: 02 العدد: 02/سبتمبر2007
EISSN: 2602-5973 ص: 37 - 47

تطرحه النسوية والتفكيكية ، والمتمثل فيما إذا كانت النسوية مسالة انطلوجية أم مسالة معنى؟ بحيث تؤكد كل من النسوية والتفكيكية، بداية أنه ليس هناك هوية فكرية لفئة النساء، فبينما ثمة أفكار ثابتة ومستقرة عن ماهية النساء وما يستطعن عمله، يظل واردا أنهن يمثلن فئة غير محددة. ويظهر ذلك في طريقتين : هل مسالة تعريف النساء مسالة أنطلوجية أم أنها مسالة معنى؟ فلو أنها مسالة أنطلوجية فإن النظريتين لا تعدان باستعادة المرأة الأصلية/المرأة الطبيعية. المرأة الكل وإذا كانت فئة النساء تمثل قضية معنى فإن المعنى نفسه غير محدد في نهاية المطاف فضلا عن أنه عرضة لأن يظل مؤجلا[9].

فما موقع المرأة العربية من هذه الإشكالات ؟ وهل تمثلتها بوعي وجمالية نضالية ؟ أم أنها قلصت كل هذه الانجازات واختصرتها في نزاع انتقامي من النسق ألفحولي عبر الكتابة؟ أم أن هناك خيارات أخرى ومكاسب مغايرة للمرأة العربية تختلف عن تلك التي تنادي بها المرأة الغربية ؟ أم أن سيادة العولمة لها تأثيراتها الحضارية والثقافية مما ينعكس سلبا أو إيجابا على حاضر ومستقبل المرأة العربية؟ وكيف تجلت نتائج ذلك كله على خطاب التأنيث ؟

2 . التذكير والتأنيث / جدل المرأة واللغة :

إن تزايد الوعي بمفارقات اللغة، يعطي الأولوية لضرورة التأمل في كل خصائصها بخاصة ما يتعلق منها بمستويات التعبير، وإذا كان في اللغة، بحسب رولان بارت سلطة وخضوع، ففي ذلك ما يشفع لنا بالنظر إليها، لا على أنها "مجرد مرآة لطريقة تفكيرنا، وإنما هي أيضا عامل في تشكيل تفكيرنا، فحين يطرد استعمال كلمات وعبارات توحي ولو دون قصد بأن النساء أدنى مرتبة من الرجال، يؤدي ذلك إلى أن يصبح هذا الافتراض جزءا من تركيبة عقلنا"[10]. فالسلطة الرمزية قابلة لاختزان مثل هذه التراكيب، والتي تظهر انعكاساتها في أساليب التفكير، ومختلف البنى الخطابية لذلك "علينا أن نتذكر بأن الاختيارات غير الدقيقة للكلمات يمكن أن تفهم على انها انحيازية وتمييزية وازدرائية حتى لو لم يكن ذلك مقصودا. وبالتالي يمكن أن ينتج عن هذه الاختيارات غير الدقيقة مشكلتان هما :

أولا : الغموض في الحالات التي لا يتضح فيها تماما مقصد القائل من ناحية الاقتصار على احد الجنسين أو شمولهما معا. فاستعمال كلمة الرجل مثلا لتعني الإنسان قد تتضمن انحيازا للرجل. وقد تفيد أحيانا أن الرجل مقصود بالتبجيل وتثبت صورته في الأذهان حتى لو كان قصد القارئ شمول الجنسين.

العدد: 02/سبتمبر2007 المجلد: 02 ISSN: 1112-7015
ص: 37 - 47 EISSN: 2602-5973

وثانيا : تشكيل أحكام شائعة من خلال ما قد تحمله العبارات من إيحاءات غير أساس حول دور أحد الجنسين أو حتى ماهيته مثال ذلك بالعربية قول الطغرائي في اللامية:

وإنما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل

فهذا التركيز على لفظة رجل قد يؤدي إلى بروز المشكلتين معا"[11]، وإذا كانت الإيحاءات غالبا ما تخضع لاعتبارات اجتماعية، فإن مسألة التذكير والتأنيث لها وضعها الخاص في اللغة العربية، كامتداد سلطة التذكير والتأنيث من المفرد إلى المثنى والجمع حتى في صيغة جمع التكسير التي يمكن أن يفزع إليها الإنسان في حالة البحث عن صيغة حيادية بين المذكر والمؤنث لأن جموع التكسير يمكن لغويا أن تذكر وتؤنث. والغريب أن الأبطال المحاربين يخضعون لغويا لهذه القاعدة، قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

تمر بك الإبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد استعمل شاعر عربي قديم القطامي هذه المفارقة النحوية ليهجو أعداءه، ويسخر منهم لأنهم جمع مؤنث:

ما لقومي تجمعوا وبقتلي تحدثوا

لا أبالي بجمعهم كل جمع يؤنث

وتكفي الإشارة في مجال إيحاءات الكلمات وموقعها السياقي إلى رثاء المتنبي لشقيقة سيف الدولة، وهي حالة فريدة في تاريخ اللغة العربية يتم فيها تمجيد الأنثى[12]

ولو كان النساء كمن فقدنا

لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهــلال

مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015 المجلد: 02 العدد: 02/سبتمبر2007
EISSN: 2602-5973 ص: 37 - 47

إن مبدأ المفاضلة بين المذكر والمؤنث يعد في صميم البنى الثقافية المهيمنة، ويرجح أن القاعدة الطبيعية للغة تعد امتدادا لتلك البنى والأنساق، ولا نملك إزاء ذلك سوى التشبث ببعض الاستثناءات والتي لا تخلو بدورها من الوهن والهشاشة.

ويأتي مصطلح الأنوثة في قلب هذه الاضطرابات اللغوية والتضارب ألنسقي، وتتعالى الأصوات المنادية إلى ضرورة التمييز"بين نسوي أي وعي فكري ومعرفي، وبين نسائي أي جنس بيولوجي "[13]، و"الأنوثة الليونة، المرأة الأنثى، الكاملة من النساء، كأن الأنوثة كمال المرأة كما الذكورة كمال الرجولة"[14].

وامتد مفهوم الأنوثة في الوعي العربي ليدل على الكسر والضعف والليونة حتى أن الشاعر الجاهلي إذا ما تفاخر قال : شيطانهم أنثى وشيطاني ذكر، وانسحب هذا المفهوم إلى السيف حيث وصف بالإناثة، فيقال" سيف أنيث وهو الذي ليس بقطاع "[15] غير أن من معني الأنوثة ما يدل على الإراحة ، والتعظيم ، والخصب والعطف وليس أدل من سلطان التأنيث ، من سيطرة المؤنث في وجد المتصوفة الذكور وعلى رأسهم الشيخ محي الدين ابن عربي :

كل ما اذكره مما جرى ذكره أو مثله أن تفها
صفة قدسية علويــة أعلمت أن لصدقي قدما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلما

ووعلى العموم، فقد اتسع مفهوم الأنوثة في الأوساط الأدبية، ليشمل تجربة المرأة الكاتبة، ويحتوي طموحاتها الإبداعية ونضالاتها الاجتماعية، وفي أحضان هذه النضالات ولد الأدب النسوي إعلاميا، لكنه لم يستمر بوصفه جدلا أكاديميا.

3 ـ النسوية بين الرفض والقبول :

تواجه المرأة كما تقول ماري انجلتن تاريخا طويلا من النظريات الأبوية من وضع الرجال، وتشكك في النظرية والمنهج، ويحذو حذوها نساء كثيرات في النقد النسوي الغربي، وتنسحب هذه الآراء إلى الأوساط العربية فتنقسم الآراء إلى مؤيد ورافض، فهذه يمنى العيد تقول : "إن القول بإبداع رجل وإبداع امرأة وتمييز الإبداع على أساس الجنس الفاعل هو قول لا يخلو من خطورة، خطورة قراءة الأثر بقراءة

صاحبه، بل بمعنى المماثلة بين الأثر وصاحبه، أو إسقاط الثاني على الأول، وفي ذلك تقديم للفاعل على الموضوع، أو للشخص على الإبداع، أو للعارف على المعرفة"[16] بينما تقترح زهرة الجلاصي استخدام مصطلح "النص الأنثوي" بديلا عن مصطلح "النص النسوي" أو "الكتابة النسوية" مؤكدة على التعارض القائم بين المصطلحين من حيث الدلالة والمعنى، فمصطلح النص الأنثوي يعرف نفسه استنادا على آليات الاختلاف لا الميز وهو في غنى عن المقابلة التقليدية "مؤنث/مذكر" doroob .com وتقول الكاتبة لطيفة الزيات " لقد رفضت دائما التمييز بين الكتابات النسائية وكتابات الرجال رغم شعوري بأن النساء والرجال يكتبون بشكل مختلف، والذي أملى علي هذا الموقف هو خوفي من أن هذا المصطلح سيلعب دورا في إبقاء الأعمال النسائية في الدرجة الثانية في الأدب تماما كما تم الإبقاء على المرأة في الدرجة الثانية في المجتمع والحياة "[17] ويشاطرها الرأي نبيل راغب الذي يذهب إلىّ رفض النظرية النسوية ذاتها لأنها يمكن أن تشكل قيدا على الحركة ذاتها"[18] ويفصح الشاعر البحريني على عبد الله خليفة عن رؤية موازية يكشف من خلالها "أن الإبداع قيمة فنية جمالية تنبع من روح المبدع الشفافة بغض النظر عن جنسه ذكرا كان أم أنثى ، وبما أن النص الفني هو عصارة روح وخلاصة حياة ونزيف بوح متصل فإنه لا يمكن لنسغ الحياة في ذروة دافقة أن ينتمي لجنس دون آخر فالملكة المعتمدة بجذوة الأدب هي الدم الجاري في عروق المبدع الذي يغيب انتماؤه حتما لأحد الجنسين في مضمار التحاليل المختبرية ..

إن تعدد الأصوات بين مؤيد ورافض ومتحفظ يجعلنا أمام تصورين:

أحدهما : ينادي بتأسيس مبادئ نقدية تركز على المرأة أي تأسيس إطار أنثوي يسهم في تحليل الأدب النسوي ووضع نماذج جديدة تستند إلى دراسة الخبرة الأنثوية فلا تتبنى النماذج الذكورية.

والثاني[المتمثل في النسوية الفرنسية] يرى ضرورة التركيز على آثار الأنثوية في الذات الكاتبة بغض النظر عن جنس المؤلف رجلا كان أم امرأة ما دام الكائن البشري يحوي في داخله مكونات ذكورية وأنثوية معا وقد تبدو المكونات الأنثوية أكثر سطوعا في أعماق المبدع أيا كان جنسه.

إن رحابة مصطلح الأدب النسوي، واضطرابه، وتعدد دلالاته ، وارتباطه ببنيات مفاهيمية مختلفة ومتضاربة، جعل منه مجالا خصبا للجدل، والنقد، والمساءلة، ولعل من أهم ايجابيات هذا الجدل في أوساطنا العربية، هو فك القيد عن مفهوم الأنوثة التقليدي واستنباط ملامح ورئ لا ترتكز إلى مفهوم القيمة أو المعيار وإنما تستند إلى مفهوم الفارق، بحيث يصبح الفرق في التسمية وليس في الدلالة.

فما هي الخصوصية التي تتفرد بها الكتابة النسوية؟ وما هو الاستثناء أو البديل الذي تطرحه؟ وهل هناك في حقل الدراسات الأكاديمية ما يمكن أن نطلق عليه الأدب النسوي؟ أم أنه جدال إعلامي تروج له بعض السياسات الإعلامية والايدولوجية؟

مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015 المجلد: 02 العدد: 02/سبتمبر2007
EISSN: 2602-5973 ص: 37 - 47

3. أوهام الأدب النسوي

إن مأزق الأدب النسوي قد بدا واضحا، ليس فقط ، في عدم الاتفاق المصطلحي، وإنما في الخلاف ألمفهومي الذي لا يستند إلى مبررات مقنعة مما جعله يبقى ريهن الصراعات التقليدية مؤنث/ مذكر من جهة، و قيد المرجعيات التحررية ذات النزعة الانتقامية من جهة أخرى مما جعلنا نستنبط مجموعة من الأوهام مما نعتقد أنها تعيق حركة الإبداع أكثر مما تدفع به ومن بين هذه الأوهام:

أولا وهم الحداثة :

إن ربط الأدب النسوي بالحداثة وما بعد الحداثة يعد انتهاكا للبدايات الشفوية، فالخنساء على سبيل المثال كانت شاعرة، وأم جندب كانت ناقدة، وعائشة كانت راوية الحديث النبوي ... إلخ و"المتصفح لتاريخ الأدب العربي يجد نساء شاعرات في جميع العصور، فقد مارست المرأة العربية نشاطها الفني منذ أن كان للعرب وجود فني"[19] لكن صوت الشاعرة قد اسكت لاعتبارات اجتماعية بخاصة ما يتعلق منها بالشعر الذي كانت ترتجله معشوقات مجانين الشعراء كبعض الأبيات المنسوبة لليلى العامرية ملهمة قيس بن الملوح ، لكن كتب التراث لم تبخل علينا مما تحفظه لنا من شعر نسائي كمثل قول زرقاء اليمامة :

خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما أرى بالأمر يحتقر
إني أرى شجرا من خلفها بشر وكيف تجتمع الأشجار والبشر

كما أكدت لنا تلك الكتب على الدوام بأن الخنساء كانت أرثى شواعر العرب، وأغزرهن شعرا حتى أن ديوانها يقتصر على الرثاء :

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره لكل طلوع شمس
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
فلا والله لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي

أما في صدر الإسلام والعصور المتقدمة، ومع بداية التدوين فقد حفظت لنا كتب التاريخ أسماء شاعرات من قريش ومن بيت النبوة، ومنهن عقيلة بنت عقبي بن أبي طالب، وسكينة بنت الحسين، وكاد ينحصر شعر المرأة في العصر العباسي في الغزل، وأكثره مما وضعته الجواري للغناء، وقد كانت المرأة في المجتمع الأندلسي أكثر تحررا عما كانت عليه المرأة في أصقاع الدولة الإسلامية الأخرى، فأسهمت بجهدها

العدد: 02/سبتمبر2007 المجلد: 02 ISSN: 1112-7015
ص: 37 - 47 EISSN: 2602-5973

في كل أنواع الثقافة المعروفة على أيامها، وكثيرات بلغن شهرة واسعة لمزاحمتهن الرجال في قرض الشعر، وبلغن احترما لم تعرفه المرأة في المشرق الإسلامي[20] منهن ولادة بنت المستكفي التي كانت صاحبة ندوة أدبية يؤمها الرجال والنساء على حد سواء، ومن الشعر الذي ينسب إليها قولها :

أغار عليك من نفسي ومني ومنك ومن زمانك والمكان

ولو أني خبأتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

و في مجال النقد، فقد عرف العصر الجاهلي عددا قليلا من الناقدات منهن أم جندب زوج امرئ القيس بن حجر التي ارتضاها امرؤ القيس وعلقمة حكما لهما حينما تنازعا على أيهما الأشعر، فقالت لهما قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد، فقال امرئ القيس :

خليلي مرا بي على أم جندب نقص لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران غير مذهب ولم يك حقا طول هذا التجنب

فأنشداها جميعا القصيدتين، فقالت لإمرئ القيس: علقمة اشعر منك. فقال وكيف؟ قالت لأنك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

الأخرج ذكر النعام والخراج بياض في سواد وبه سمي فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، فأتعبته بساقك. وقال : علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه. فقال ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة ....[21]، وأشارت المصادر كذلك للناقدة السيدة سكينة بنت الحسين بن على والتي قال عنها صاحب الأغاني : أنها كانت عفيفة تجالس الأجلة من قريش وتجمع إليها الشعراء ومن نقدها أنها سمعت نصيبا يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

فعابت عليه أنه صرف همه ورأيه إلى من يعشقها بعده وفضلت أن يقول :[22]

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ولعل المتتبع لمثل هذه النماذج وغيرها ، والتي تمثل صورة عن نشاط المرأة الثقافي في الجاهلية والإسلام ، يدرك إسهام المرأة في مستويات التلقي الجمالي ، بحكم ذوقها ، وحسها الإبداعي ، غير أن مجمل ما أنتجته الذائقة النسوية آنذاك يكاد يكون انطباعيا تأثريا ، لا يستند إلى قواعد صحيحة وإنما هي في أغلبها نتاج الوسط المحلي .

مجلة سيميائيات
ISSN: 1112-7015 المجلد: 02 العدد: 02/سبتمبر2007
EISSN: 2602-5973 ص: 37 - 47

إن تجاهل كل هذه الإرهاصات، والقول بحداثة الأدب النسوي يعد إجحافا في حق المنجز الثقافي للمرأة العربية بما فيه الشفوي والمدون، مما يعمق لدى البعض وهم الحداثة الشعرية في الحركة النسوية.

ثانيا وهم الخصوصية:

تزعم أكثر المبدعات اللواتي يصررن على الأدب النسوي على جانب الخصوصية الإبداعية التي تتمثل أساسا في الخصائص الأسلوبية والتعبير عن الذات الأنثوية بشكل مميز، وتذهب آمنة بلعلي، وهي إحدى الباحثات الجزائريات إلى إعطاء توصيف مغاير للشعر النسوي الذي يكتب عن المقاومة، حيث قالت بأن المرأة اعتقدت طويلا أن الكتابة عن المقاومة من مهمات الرجال، واتجهت للتركيز على لغة الجسد مما جعل شعر الجسد معادلا موضوعيا لشعر المقاومة، وتضيف الباحثة أن قصيدة المرأة الجزائرية اليوم تحمل تصورا أنثويا أفرز عدة مقومات جديدة : منها ضمور النفس القصير الذي لازم القصيدة النسوية سابقا، وبروز الحس الدرامي المؤسس على التعامل غير المباشر مع القضية، إضافة إلى القدرة على متابعة المعنى مع تشكيل قصيدة مركبة لا تعتمد على الوصف والتعبير وحسب وإنما على التحليل، والتعليل لتتمخض عنها في النهاية بنية توترية تجسد المقاومة[23] غير أن ضمور النفس القصير، وولادة القصيدة المركبة وبروز، الحس الدرامي، ليست ميزات جديدة على قصيدة المرأة الجزائرية ، أضف إلى أنها ليست خاصية في قصائدهن، ويتأمل حسين المناصرة في خصوصيات الكتابة النسوية من منظور سوسيولوجي يرى فيه أن البنية الاجتماعية الانطوائية المفروضة على المرأة تختلف عن البنية الاجتماعية الذكورية المهيمنة، مما يفرض علاقات اجتماعية مغايرة في الكتابة النسوية [24]ينظر حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع[25]، ومثاله قول الشاعرة الجزائرية مي غول:

لا تقف يا ظل مي بالجـدار وامش تحت الخطو من فرط انكساري
لست أبغي خاتما من قرص شمس لست أبغي التبر حشوا في الجـرار
لست أبغي ثوب عرس من غيوم أو قلادات كبرق في القفـار
ليس ذنبي أن حباني الرب أنثى في بلاد حاصرت حلمي بداري
طائر قلبي بسيط كالمرايـا طيب كالعطر زاه كالجمـار [26]

ولا نعتقد أن ثمة تصورا أعمق من النظر إلى شمولية الأدب وعمقه ، وتجليات آثاره في وجداننا، وتأثيراتها في الوجدان الإنساني، فالأدب العظيم لا يؤمن بالفروقات، وأي انقسام ما هو إلا شرخ في لحمته.

العدد: 02/سبتمبر2007 المجلد: 02 ISSN: 1112-7015
ص: 37 - 47 EISSN: 2602-5973

ثالثا وهم المساواة

إن دعوى المساواة بين كتابة نسوية وأخرى ذكورية ، فيها ظلم للأنوثة وتجني على الكتابة، فهي نزعة انتقامية لاواعية، تنظر إلى علاقة المرأة والرجل، أو الذكر والأنثى على أنها علاقة تفوق، وأن الذكر في مرتبة أعلى من الأنثى التي عليها أن تناضل من أجل كسر حاجز الرتب، وهي في تصورنا مغالطة في الأدب وفي الحياة، ذلك أن من الشواهد العظيمة ما يثبت إسهام المرأة في أسمى المقامات الإشراقية مثل رابعة العدوية "وهي المرأة البصرية التي استطاعت أن تؤسس التراث الصوفي المكتوب لأول مرة في تاريخ اللغة العربية، ولعل أهم ما في أمرها أنها زودت الصوفية بركيزتها الوجدانية، أقصد مقولة الحب الإلهي، ولاسيما الحب الذي يفضي إلى كشف الحجب وتجلي جمال المحبوب. والحقيقة أن هذا الربط بين الحجب والتجلي هو المبدأ المفتاحي في بنية المنهج الصوفي كله"[27] وهي التي تغنت بالحب الإلهي في أعذب وأجمل ما قالت :

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنـك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل لـه فكشفك للحجب حتى أراك[28]

إن معاناة المرأة العربية على مر العصور منذ أزمنة الوأد، إلى زمن الحريم ومن ممكن اللغة، إلى مستحيل الكلام، يجعل من النساء فئة قاصرة، وأقل عقلا وحكمة، غير أن تحولات الوعي بالحركة النسوية، وتنوعات خطاب التأنيث يمنح قضية المرأة فرصة للمغايرة والاختلاف، بيد أن تكريس نمطية الخطاب وحصره في صراع المؤنث والمذكر من شأنه تعطيل حركية الوعي بأهمية الانتقال إلى مستويات عالية من التأمل، ومن أبز نتائج هذه النمطية :

أولا : تضييق الحركة النسوية وانطواؤها، وانتهاؤها في وهم الصراعات الذكورية ..

ثانيا : اتخاذها من الفنون بشكل عام، ومن الأدب بشكل خاص خطابا للتجلي يقلص من التجربة الإبداعية، ويحصرها في قضايا ثانوية.

ثالثا : مغالطة الأدب النسوي العربي والتي أفرزت عدة أوهام ثقافية لعل من أبرزها : وهم الحداثة، وهم الخصوصية، ووهم المساواة.

---

[1] – سابينا لافيبوند : النسوية وما بعد الحداثة تر ممدوح يوسف عمران، مجلة ثقافات ،كلية الآداب ، جامعة البحرين، ع/ 22 / 2009 ص 234.

[2] – المرجع نفسه ص 236

[3] – محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، ص 191

[4] – سابينا لافيبوند ص 235

[5] – ديان ألام ، النسوية والتفكيكية، مجلة ثقافات، ع 16/15 2005 ص 99

[6] – المرجع نفسه ص 97

[7] – المرجع نفسه ص 98

[8] – المرجع نفسه ص 98

[9] – المرجع نفسه ص 96. 97

[10] – حسام الخطيب : نحو المساواة بين الجنسين في لغة العرب ، مقاربة مبدئية ، ثقافات ع 2004/9 ، ص 108

[11] – المرجع نفسه ص 108

[12] – ينظر حسام الخطيب ص108 . 109

[13] – شرين أبو النجا :سوي أم نسائي مقال في dorrob Co وإذا عدنا إلى تراثنا من خلال المعجم الوسيط نجد أن الأنثى وهي مشتقة من أنث يأنث بمعنى لان وضعف وتكسر ، امرأة أنثى كاملة الأنوثة " المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم حسن ن عطية الصوالحي ، عبد الحليم منتصر مايو 1982 ص 49.

[14] – ابن منظور لسان العرب مادة أنث ن ص 171 .

[15] – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة تحقيق الأستاذ إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي 1967 القاهرة، ص146.

[16] – ينظر محمد أحمد المجالي : المرأة الناقدة في الأدب العربي www. Googl.com

[17] – بثينة شعبان مائة عام من الرواية النسائية العربية دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ط1/1999 ص24.

[18] – نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1/ 2003 ص 670.

[19] – د.عائشة عبد الرحمن ، الشاعرة العربية المعاصرة ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص 15.

[20] – ينظر د. مكي أحمد الطاهر ، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف مصر ، ص 248.

[21] – ينظر عمر رضا كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ج1 /مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ص217.

[22] ينظر أحمد أمين : النقد الأدبي ،ط4 / 1967، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص455

[23] – ينظر كنزة مباركي : قصيدة المرأة تحمل حسا دراميا ، مجلة آمال ، وزارة الثقافة ، ع4 2009 ، ص 96.

[24] ينظر : حسين المناصرة ، النسوية في الثقافة والإبداع

[25] – عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن 2008 ، ص 111.

[26] مي غول : عنكبوت في دمي ، دار موفم ، الجزائر ، 2007 ، ص 23

[27] – يوسف سامي اليوسف مقدمة للنفري دار الينابيع ، دمشق 1997 ط2 ص21

[28] – ينظر عبد الرحمن بدوي : شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية ط2 مكتبة النهضة المصرية 1962 ص 64.